مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 02/ ديسمبر (2023)، ص.ص.301-309

ملامح السّخرية في الفضاء الكوميدي التّلفزيوني الجزائري أعمال جعفر قاسم أنموذجًا

Irony Features in the Comedy Space of the Algerian Television. Works of Jaafer Kassem.

حبيبة جعفري*
h.djafferi@univ-boumerdes.dz
جامعة أمحمّد بوقرّة- بومرداس-
مخبر تحليل الخطاب –تيزي وزو-
(الجزائر)

فتيحة شفيري
f.chefiri@univ-boumerdes.dz
جامعة أمحمّد بوقرّة- بومرداس-
مخبر تحليل الخطاب –تيزي وزو-
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/11/06 تاريخ القبول: 2023/06/05 تاريخ النشر: 2023/12/02

ملخص:
تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن ملامح السّخرية في الإنجاز التّلفزيوني الكوميدي الجزائري والإشكالية المعالجة في هذا الصدد تتمثل في: الكشف عن درجة المصداقية الكبيرة التي إتّخذها الكاتب "جعفر قاسم" في تصوير الجانب الكوميدي السّاخر، وإسقاطه على واقع مجتمعه، وكيف هي تمثلات الجانب السّاخر في الواقع الجزائري، وكيف تُوِّجت أعمال جعفر قاسم بالنّجاح الباهر؛ كونها أعمالا سخرت فضاء الكوميديا والسّخرية من أجل تعرية الواقع، والإفصاح عن المسكوت عنه.

كلمات مفتاحية: سخرية، كوميديا ،تلفزيون،سناريو،تمثيل.

Abstract:

The aim of the study is to find out the features of irony in the production of comedy in the Algerian TV. The problematic is uncover the credibility followed by the writer Jaafer Kassem in his picturing of satirical side of comedy in the society Algerian society and representing it in its real form. He aspires to show how his works have reached success. They tackle the comic and ironic space to uncover reality and reveal the silent side.

Keywords: *irony, comedy, television, script, acting.*

1. مقدمة:

شكّل عامِل السُّخرية المادّة الخام للعديد من الأعمال الأدبية والتّلفزيونية، نظرًا لما يبدعه المُؤَلِّفون من أعمال ساخرة مواجهةً للأوضاع المُتفشّية في المجتمعات. فكان لسلطة الحكّام وجورهم على الشّعب في الكثير من الأحيان، دورًا بارزًا في جعل كُتّاب السّيناريوهات يَتّخِذونه قلمًا صَريحًا؛ لكشف الحقائق الخفيّة بوجهٍ ساخرٍ ،يعكس ثقافة المجتمع والشّباب المنتمي إليه، ما ساعد على نقد الوضع القائم في المجتمعات والمجتمع الجزائري

*المؤلف المرسل.

شاهد على معاناة أبناء الشّعب والتّناقضات الّتي مرّ بها، الّتي ساهمت في تدهور الأوضاع الاقتصادية والسّياسية والاجتماعية، وأثّرت عليه بالدّرجة الأولى كونه فرد من هذا المجتمع.
والإشكالية المطروحة في هذا الصدد: كيف إستطاعت الكوميديا السّاخرة من خلال أعمال جعفر قاسم أن تجسّد الواقع الجزائري؟ ثمّ ما الدّور الّذي لعبته الصّورة الكوميدية السّاخرة، المحملة بالعديد من المرجعيات ،والتي وضعت القضايا المتأرْجِحة بين كفتي المركز والهامش محل المعالجة؟
وللإجابة عن إشكالية الدّراسة الموسومة ب: ملامح الفضاء الكوميدي التّلفزيوني الجزائري أعمال **جعفر قاسم** "أنموذجا"، اعتمدت على العديد من المصادر والمراجع وأهمّها:

-فيديو السّينما كوم لجعفر قاسم.
-كتاب محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول.
-كتاب محمد بن قاسم ناصر بوحجام: السخرية في الأدب الجزائري.
-كتاب أبو عيسى فتحي محمد عوض، الفكاهة في الأدب العربي.

وتأتي أهمّية دراسة ملامح السّخرية، في الإنتاج التّلفزيوني الكوميدي "**لجعفر قاسم**" من منطلق أن الكوميديا فضاء واسع لتصوير الواقع، يحمل مكوّنات عديدة لتجسيد صوره المتعددة، كما تكمن أهمية دراسة جانب السّخرية في أعمال "**جعفر قاسم**"، في الكشف عن الأسلوب الكتابي، وطريقة الإخراج المحكمة التي إتّبعها الكاتب في التّأثير على الجمهور، وجعل النافذة مفتوحة للتواصل وإبداء الرأي حول القضايا التي تعلن تحت عباءة الفكاهي الساخر الذي يؤدي إلى الإمتاع والضحك والمواساة.
أما عن أهداف الدّراسة نقول إنّها تهدف إلى إبراز الآليات المتّخذة من قبل الكاتب لإخراج العمل الكوميدي، وكذلك تبيان دور الكوميديا السّاخرة بلغة العامية الجزائرية وبصورة نابعة من قلب المجتمع الجزائري، وكيف إستطاعت أن تطوّع أرضيتها لتنقل الوقائع الجزائرية؛ برفعها إلى مستوى تصويري فكاهي يُمتِّع النّاس من جهة، ويُوَعيهم بواقعهم من جهة ثانية، كما تهدف للكشف عن طبيعة هذا البديل التّلفزيوني، وممكناته المسخرة في تصوير الواقع الجزائري.

2. مفهـوم السُّخرية:

1.2. السّخرية لغـة:

توحي كلمة السّخرية في معجم لسان العرب إلى الهُزءِ والاستهزاء والاستهانة بالآخر، فكلمة **سَخِرَ** مشتقة من:«**سَخِرَ منه وبه سَخْرًا، وسَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا (بالضم) وسُخرة، وسِخريا، وسُخْريا وسُخرية: هزئ به(...) قال الأزهري: وقد يكون نعتا، كقولهم: هُم لك سُخْريُ وسُخْرِيةٌ من ذَكَّر قال: سُخْرِيًّا ومن أنّث قال سُخْرِيَةً. الفراءُ يقال سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرْتُ به، قال تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ وسَخِرْتُ من فلان في اللُّغة الفصيحة، وقال الله تعالى ﴿فَيَسْخَرُوْنَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ وقال:﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾**[1]. **والسُّخرة: الضُّحكة، ورجل سُخْرَةٌ: يَسخَرُ بالناس وفي التَّهذيب: يَسخَر من النَّاس وسُخْرَة يُسْخَرُ منه، وكذلك سُخْرِي وسَخَرِيَّة، من ذكره كسر السين، ومن أنّثه ضمَّها السُّخَري (بالضم)، ومن التسخير والسِّخري (بالكسر) من الهُزْء، وقد يقال في الهزء: سُخْري وسِخْرِي، وأما من السُّخْرَة قواعده مضموم، وقوله تعالى ﴿فاتَخَذْتُموهُم سِخْرِيًا حَتَى أَنْسُوكُمْ ذِكْرِيْ﴾ ورجل سُخْرَة يُسْخَرُ منه وسُخَرَةٌ بفتح الخاء (يسخر من الناس) ، ويقال سَخَرتُه بمعنى سخَّرتُهُ أي قهرته، ورجل سُخْرَة: يُسَخَّر في الأعمال ويَتَسَخَّرُه من قهره»**[2] ومن خلال المدلول اللّغوي لكلمة **سخرية** اتّضح معناها بالقهر والتذليل.
ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بكثرة وتعدّدت معانيها فنجدها في قوله تعالى : **﴿زُيِّنَ لِلَّذين كفروا الحياة الدُّنيا ويسخرون من الَّذين آمنوا والَّذين اتَّقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾** [سورة البقرة، آ:

212][3] ، بهذا اتّخذت كلمة السُّخرية في القرآن الكريم منحًا أخلاقيًا، فيبيّن الله سبحانه وتعالى فيه جزاء الذّين يكفرون بنعمه ويسخرون من المؤمنين.

وفي سورة الحجرات يقول الله عزّ وجل:﴿**يا أيّها الّذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنّ خيرًا من هنّ** ﴾ **[سورة الحجرات آ: 10]**[4]، وقد جاءت كلمة السُّخرية لتدلّ على معنى الاحتقار والاستهزاء والله تعالى ينهى عن هذه الصِّفات، وينكرها على عباده.

مما تقدم نقول إنّ: المقاربة اللّغوية لمصطلح السُّخرية استطاعت أن تضع الملامح الدّلالية لمصطلح السُّخرية في إطارها التّداولي؛ الّذي يتطابق في معانيه مع المفاهيم الاصطلاحية للسُّخرية في عصرنا الحالي.

2.2. السّخرية اصطلاحا:

ظهرت السّخرية كممارسة في بداياتها في الفلسفة اليونانية مع سقراط في دفاعه عن فكرتي الحقيقة والعدالة وذلك باعتماده «**فنُّ المساءلة القائم على مظهر السّذاجة مع إخفاء المعرفة**»[5]ومن هذا يكون ظهور مفهوم السُّخرية على يد الفلاسفة اليونان، ثم تبعته الدّراسات الّتي جاءت فيما بعد الغربية منها والعربية. وإنْ بحثنا عن مدلول هذه اللّفظة لوجدنا أنّها أصبحت ظاهرة من ظواهر الخطاب الأدبي ومفهوما قارًّا من مفاهيم النّقد الأدبي، فحظيت بالكثير من الدِّراسات والبحوث، ودخلت عالم السّمعي البصري من خلال مسلسلات وأفلام كوميدية هزلية تستقطب المشاهد والنّاقد في آن واحد، ولعل من أهم تعاريف الدّارسين العرب لمصطلح السُّخرية من جانبه الفني الأدبي التّواصلي نذكر على سبيل المثال لا الحصر: تعريف **محمد العمري**، و**محمد بن قاسم ناصر بوحجام، وشوقي ضيف.**

إذ يربط **محمد العمري** مفهوم السُّخرية في التّراث العربي بكلمتين هما (الاستهزاء والهزل) ويعرّفها «**بأنّها آلية حجاجية وبيداغوجيا تعليمية متّصلة بطبيعة النّفس الإنسانية حيث تتجاذب طاقتين:الجد والهزل**»[6]، وهذا يعني أنّ السُّخرية يمكن لها أن تجمع بين أكثر من شيئين حيث أنّ هذه الثّنائية تحيل إلى الفطنة والذّهاء من جهة، والطّرافة والظّرافة من جهة أخرى.

ويُقِرُّ **محمد ناصر بوحجام** أنَّ:«**السّخرية طريقة فنيّة أدبية ذكيّة لَبِقة في الإبانة عن آراء و مواقف ذات رؤية خاصّة ،وبصيغة فنّية متميّزة(...) تهدف للتّعبير عن أفعال مُعيَّنة كعدم الرّضا بتناقضات الحياة وتصرفات النّاس وكشف الحيرة والمرارة بطريقة غير مباشرة بعيدًا عن العاطفة الجامحة، والانفعال الحاد قصد الإصلاح والتّقويم، والتّغيير نحو الأحسن**»[7] عن طريق مشاركة أفكار وأراء الجمهور المشاهد في صورة تهكمية هزلية مثيرة للضحك.

نلاحظ من خلال هذين التّعريفين أنّ الكاتبين أرادا الوصول إلى مفهوم مُوَحَّد للسّخرية، حيث يعتبرانها مجالًا مفتوحًا اتخذَّها الأدباء و بالأخصّ القصَّاصون والرِّوائِيُون للتّعبير عن تناقضات الحياة، فتكون السُّخرية بذلك مرآة تعكس الواقع الحقيقي للمجتمع العربي بصفة عامة، والأُمّة المعنية بصفة خاصة، حيث يشير **محمّد ناصر بوحجام** إلى أنَّ هذه التِّقنيَة تكون بطريقة غير مباشرة بمعنى أنّها تختفي وراء عبارات تمنع وصولها بوضوح مقصود للطَّبقة، أو الفئة المراد السُّخرية منها، والهدف من ذلك هو الإصلاح والتّقويم والانتقال من حالة إلى حالة أفضل.

كما يعرِفها أيضًا **شوقي ضيف** بأنّها:«**أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء، وخفاء، ومكر، وهي بذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الّذين يهزؤون بالعقائد والخرافات، ويستخدمها السَّاسة للتِّكاية بخصومهم، وهي حينئذٍ تكون لَذْعًا خالصًا، وقد تُستخدم في رِقَّةٍ وحينئِذٍ تكون تهكُّمًا إذ يَلمسُ صاحِبَها لمسًا رقيقًا ...**»[8] يَنظُر شوقي ضيف إلى مفهوم السُّخرية من منظورٍ نقديّ حيث ربطها بمفاهيم تحيل عليها، أو تدخل في باب تكوينها كالفكاهة، والتّهكم فاعتبرها أداة للتّعبير والتّنفيس عَمَّا يختلج الصُّدور مِنْ شُحُنات غضب، أو نَفَحات مُزاح من جهة وسلاحًا في يد الأدباء

يستعملونه للبُكَاية بخُصُومهم من جهة أخرى، وفي هذه الحالة يكون للسُّخرية أثرها البالغ على الطَّرف الثَّاني أكثر من مجرد السُّخرية للسُّخرية فقط، فيكون بذلك السَّاخر على حسب رأي شوقي ضيف هو النَّقد أولاً، والإضحاك ثانيًا.

3. علاقة السّخرية بالواقع الجزائريّ:

إذا توجهنا بمنظورنا إلى العلاقة الممكنة بين عامل السّخرية والمجتمع الجزائريّ، فإننا نلمح تحديدها من خلال عدة عوامل ولعلّ أهمّها كان ما خلّفه الاستعمار الفرنسي على أراضيه من ثقافة رجعية، وسياسة متسلّطة، ما زاد في حدّة الهوّة بين الشّعب والسّلطة الحاكمة، وبين أفراد الشّعب في حدّ ذاتهم الّذين يسخرون من بعضهم البعض ما خلّف جِهويةً أكبر نسعى في الوقت الرّاهن إلى إلغائها وزرع قيم ومبادئ التّسامح والتّعايش مكانها، الأمر الّذي يدعي إلى القول إنّ: السّخرية تعد السّلاح الوحيد الّذي أنتجته الظّروف القاسية الّتي مرّ بها أبناء الشّعب إبان فترة الاستعمار؛ فكانت بمثابة السلاح الناجع لمواجهة الواقع، في الوقت الّذي يعتبرها فيه المختصّون أنّها كسرٌ لحاجز الصّمت والخوف من السّلطة.

وبما أن الفنّ والإبداع وسيلة لمحاربة هذه الظّواهر المتسلّطة؛ لتجد صداها لدى الرّأي العام. فإن توجه الكتّاب والمخرجين إلى هذا النّوع الأدبي السّاخر؛ كان يحمل درجة كبيرة من الوعي في تجسيده داخل الواجهة الإعلامية التمثيلية، التي تنم صورتها عن غضب الشّعب وثورته على الحياة الّتي يعيشها؛ وذلك عن طريق أسلوب الاستهزاء والانفعال الغير مباشر للحدّ من الضّغوطات الّتي يعانيها، كون أن مكون السخرية كما يقر **ألفرد أدلر**: «**هي خليط من انفعالين هما الغضب والاشمئزاز...**»[9] اللّذان يحدثان ردة فعل قوية من طرف الفرد الذي يعيش تحت ضغوطات نفسية متكررة، هدفها خلع وازع الثقة في النفس الإنسانية والعيش في حالة التيه المستمرة؛ التي تؤدي إلى الإحباط والانعزال والإحساس بالتأخر عن ركب الحياة الإنسانية الطبيعية، وهي الثقافة التي كابد الاستعمار الفرنسي على زرعها في نفوس الجزائريين.

لم تعرض السخرية في بداياتها التجسيدية على شاشة التّلفزيون مباشرة،كون أن المجتمع الجزائري كان متأخرا على معرفة فن الكوميديا السّاخر؛ والسبب الراجع في ذلك تمثل في إنشغاله بالثّورة التّحريرية، فتجسّدت هذه السّخرية في بعض المسرحيات الاجتماعية التّوعوية الّتي كتبها كل من **علي سلالي، ورشيد القسنطيني**[10]**،..** وغيرهم من الكتّاب المسرحيين الّذين عالجوا مختلف قضايا المجتمع الجزائري، بنظرة نقدية ساخرة هذه الأخيرة امتدت في صورتها حتى زمننا الحالي زمن الاستقرار السّياسي، والتّداعيات الّتي توفّرها الدّول لشعوبها ورغم الجهود المبذولة من قبل المسئولين؛ نجد دائمًا الهفوات الّتي يغفل عنها أصحاب القرار؛ ما يجعل منها موضوعًا أدبيا ساخرًا؛ يعتمده الأدباء في قصصهم ورواياتهم، وموضوعًا كوميدِيًا ساخرًا يستغلّه المخرجون، وكتّاب السّيناريوهات لتعرية الواقع وكشف الحقائق المغلّفة بزيف الدّيمقراطية.

لقد عرف الشّارع الجزائري عديدَ الأعمال الكوميدية السّاخرة الّتي صنعت الحدث وطابقت الواقع بأحداثها ومُجرياتها، فتغنّى بها الصّغير قبل الكبير وبالأخصّ لمّا أثارت فيهم غريزة الضّحك وساعدتهم على نسيان آلامهم وأحزانهم للحظات من الزّمن.. فكيف يحوّل النّص الأدبي السّاخر إلى عملٍ كوميدي ساخر وهادف في آنٍ واحد؟. وما هي أهمّ المواضيع الّتي سلّطت عليها الضّوء الكوميديا السّاخرة وعالجتها في المجتمع الجزائري؟.

4. السّخرية في الأعمال التّلفزية الكوميدية الجزائرية:

لكل عمل فني إلا وله آلياته الخاصة به في نقل ذلك المعادل الموضوعي، من أي مجال فني إبداعي آخر وتطويعه بما أمكن؛ ليصبح جاهزا لأن يجسد على أرضيته الجديدة، ولقد كان انتقال مكون السخرية بمختلف تمثلاته التواصلية، من النص الأدبي إلى النص الكوميدي التلفزيوني عبر آليات تخدم المجال المرئي الفكاهي، ليحددها بعد ذلك عامل الإخراج على شكل (حلقة) كاملة يستمتع بلقطاتها المشاهد، ولعل أولى هذه الآليات نجد عامل أو آلية السيناريو؛ وهو النّص الّذي يكتبه (السِّيناريست) أو المُخرِج، أو أيّ كاتب لديه القدرة على الكتابة بطريقة ساخرة دون تجريح أو مسٍّ للثّوابت.

كما يعد السّيناريو بمثابة الخطوط العريضة؛ الّتي ينطلق منها الفيلم السّينمائي أو التّليفزيوني، فيُركّز الكاتب/ المُخرج على هذه الخُطوط حتّى يكونَ نصُّه في قمّة الإبداع والسّيناريو كما عرّفه **عزّة أحمد هيكل** نقلًا عن "**سيد فيلد**" في كتابه **"السّيناريو"** هو:« **الإرشاد، أو الخطوط العريضة للفيلم، أو الرّسم التّوضيحي لِسلسلة من الصّور والمشَاهِد في تتابع متماسك مع الحِوار والوصف كما اللّؤلؤ في عِقد، وقد يكون السّيناريو مجرّد ساحة فضاء للحُلم...**»[11] الّذي يتبنى ساحة الواقع حينما يتم تجسيده بصورة فنية إبداعية؛ تسخر لها جميع الإمكانات التمثيلية؛ لأن تعكس ظاهرة الواقع المجتمعي، فالسّيناريو يُعدّ أهمّ شيء في العمل، فجودته تحدد العمل في أبهى صُوَرِه، في حين يمكنه أن يبوء بالفشل؛ إذا كان نصًّا يفتقر إلى الجدّية في الكتابة، فلا يجد الاستقبال المرجو من المتلقي.

فالسّيناريو آلية من آليات فن السّينما؛ لا يتّصف بالسّهولة، وله ضوابطه ومقوّماته الّتي يحْتَكِمُ إليها الكاتب (السّيناريست) في عمله حتّى يُقدِّم لنا نصّا قابلا للنّشر[12] والعرض أمام المتلقي الّذي يكون بدوره الحَكَمَ الأوّل على نجاح النّص أو فشله، وبالأخص إذا كان في المجال الكوميدي السّاخر، حيث يبقى نقد الأوضاع المعيشية هو الدّاعي الوحيد لمثل هذه المواضيع السّاخرة، وبعد معالجة النّص وتحليله يتمّ تصويره إلى مَشَاهِدَ ولَقَطات كوميدية ما يجعل للسِّيناريو والصُّورة لغَةً خاصّة؛ يفهمها كلٌّ حسب مجال تخصّصه؛ القارئ والمُشَاهِد والمحلِّل والنَّاقد...إلخ من جمهور الصورة البصرية.

الأمر الذي لا يجعلنا نغفل الدّور الكبير الّذي يؤدّيه الممثل، حتّى تصل الرّسالة واضحة إلى المتلقي من بذل المجهود في حِفْظ النّص (السيّناريو)، وتقمّص الشّخصية المُمَثّلة تقمّصًا تامًا يجعلنا لا نفرّق بين الحقيقية والتمثيل.

لقد ساهم مخرجون وكتّاب كثر في صناعة الكوميديا الجزائريّة السّاخرة بمواضيع مُستقاة من المجتمع وأخرى من تجارب شخصِيّة لأفرادٍ مرّوا بها فقاموا بمُحَاكَاتِهَا ونَقلُوها إلينا في صورة هزلية مُعبّرة عن طريق الشّاشة، والمحاكاة هي الانطلاقة الأولى لأيّ فنّان سواءً كان كاتبًا، أو مُخرجًا، أو حتّى ممثّلًا يُجسّد الأدوار المعروضة عليه « **فإنّ الّذين يقومون بالمحاكاة يعرضون: إمّا أناسًا أسمى ممّا نعهدهم، أو أسوأ، أو كما هم في المستوى العام**»[13]، حيث يقوم المنتج بتعديل بعض الأمور أو تغييرها حسب مُقتضيات الحاجة الّتي هو بصدد مُعالجَتها.

فكاتب الأدب السّاخر أو السّيناريو الكوميدي الهادف يعمل على اِستظهار المواجع الّتي يعانيها الإنسان فهو يعتمد على الفعل الحقيقي الّذي يبني عليه فكرة النّص وحواره وليس على السّخرية من أجل السّخرية فقط. إذ يعدّ الكاتب السّاخر الفعلي هو الّذي يصنع المفارقة في أعماله ويصل إلى قلب المجتمع باعتبار أنّ المادّة الّتي يتسلّح بها أخطر مِمَّا نتوقع ، فهي كما وصفها **حامد عبده الهوّال:**« **إنّها السّلاح الرّهيب الفتّاك الّذي يصل إلى هدفه. السّلاح الّذي يُخاطب النّفوس والعقول ويكشف الحقائق**»[14]، فهي تمثّل البُعد النّفسي والمكوّن الأساس للوعي القومي الّذي يؤثّر في المُتلقي ويشدّه إليه؛ كونها سريعة النّفاذ إلى العقول والتّأثير فيها بشكلٍ مباشر، ولها علاقة بتشكيل أفكار الجماهير والرأي العام.

5. السّخرية في النّص الكوميدي عند جعفر قاسم:

من هذا المُنطلق اِتّخذ المخرجون وكُتّاب السّيناريو السّخرية مجالا للتّعبير والبوح بما يؤرّقهم في هذه الحياة والمجتمع ونكاية السّلطة، وحوّلوها إلى نصّ كوميدي يسخر فيه المواطن البسيط من وضعه بدلًا من أن يلطم حظّه العاثِر الّذي أوجده في سُلطةٍ مُتسلّطة تفرضُ قوانينها على الضّعيف وتحرمه من أبسط حقوقه.

ومن الأفلام الجزائريّة السّاخرة الّتي كسبت محبّة الجماهير وأصبح الفرد الجزائري ينتظره من موسم لآخرَ حتّى يطّلع على أعماله. المخرج والكاتب والمُنتِج في الوقت نفسه "**جعفر قاسم**" الّذي أخذ من كلّ شرائح المجتمع حكاية و غازل بها عقولنا، لعلّنا نفهم الرّسالة المشفّرة الّتي يرمي بها إلينا خلف هذا الضّحك، وقد ساعدته اللّغة المختارة على كتابة النّص السّاخر التي جعلته يقترب من المتلقي الجزائري ويلامس أوجاعه ، كونه يستعمل اللّغة العاميّة أو بعبارة أدق لغة الشّارع الجزائري ليكون أقرب من المواطن، نجحت جلّ أعماله إن لم نقل كلّها كسلسلة "**ناس ملاح سيتي**" بأجزائها الثّلاثة بطولة مجموعة من الفنّانين الجزائريين، و مسلسل "**دار البهجة**" بطولة "**بيونة**"، "**جمعي فاملي**" وآخرها كانت سلسلة "**عاشور العاشر**" بأجزائه الثّلاثة من بطولة الفنان الكوميدي "**صالح أوقروت**" (الجزء الأوّل والثّاني) والفنّان "حكيم زلوم" بطل الجزء الثّالث من العمل، بالإضافة إلى نخبة من الممثّلين الكوميديين[15].

عالج الكاتب/ المُخرج في هذا العمل الأخير مشكلة الشّعب والسّلطة الّتي يحتمي تحت رايتها، فصوّر لنا جدلية المركز (يمثله سلطان المملكة عاشور العاشر) والهامش (يمثّله الشّعب المحقور بلغة النّص). فتعدّدت مواضيعه المختارة من رحم المجتمع محاولًا بذلك كل مرّة التّطرق إلى قضية من القضايا الّتي تشغله فيطرحها على المتلقي لعلّها تجد صاغيا لها، فيتحدّث مثلا في إحدى حلقات المسلسل عن ظاهرة التّعليم في الجزائر وخصّ بها فئة المقبلين على شهادة التّعليم الثّانوي (الباكالوريا)، حيث عرض لنا واقع التّربية والتّعليم في الجزائر وقضية تسرّب مواضيع الامتحانات قبل موعدها، وهي ظاهرة عرفها الشّارع الجزائريّ في عهد الوزيرة السّابقة لقطاع التّربية والتّعليم "**نورية بن غبريط**"، ويحدث أن يُبرمج تاريخًا جديدًا لإجرائها وهي سابقة من نوعها في تاريخ التّعليم الجزائريّ، فيرفض المُمْتحنون اِجتياز الامتحانات للدورة الثّانية ، فالتّعب نال منهم طوال السّنة الدّراسية وأجهدَهم. في المسلسل يختار كاتب السّيناريو اِسم "**بن عفريت**" [16] على وزن "**بن غبريط**" للشّخصية الّتي جسّدت دور الوزيرة وهو اِسم يتعوذ منه كل الشّعب.

فهذه المفارقة السّاخرة الّتي أضحكت الجمهور بما حملته من عبارات هزلية، فتحت عيناه على حقيقة مَؤلمة وهي التّعليم في البلاد وما آل إليه من تدنٍ في المستوى فأصبح القطاع في الحضيض ولابدّ على القائمين عليه التّحرك للنّهوض به ليستعيدَ مكانته الّتي كان عليها في زمنٍ مضى.

يشير الكاتب/ المخرج في الجزء الثّاني من هذه الحلقة إلى قطاع آخر وهو قطاع البريد والمواصلات، فيتحدّث عن معاناة المواطن مع شبكة الاتّصالات خاصّة ونحن نسابق الزّمن في التّكنولوجيا الحديثة فكلّ اِحتياجاتنا متوقّفة عليها، وأصبحت شيئًا قارًّا في حياتنا اليومية. جاءت السّخريّة في الموقف الكوميدي عندما حان موعد ظهور النّتائج فساعتها انقطعت شبكة الاتّصال وأصبحت الإنترنيت تتدفّق بشكل ضعيف جدًّا ما تسبّب في اِستياء شعب المملكة العاشورية فعبّروا عن غضبهم بكلّ العبارات السّاخرة من القطاع والعاملين فيه، إلّا أنّ الغريب والمضحك في الأمر هو أنّ حبل الإنترنيت تقمّص دوره شخص كبير السّن لا يستطيع السّير خُطوة للأمام إلّا بمشقّة النّفس، فبيّن لنا الكاتب في هذا المشهد الكوميدي من المسلسل حجم معاناة الشّعب في قضاء حاجياته الّتي يحتاج فيها اِستعمال التّكنولوجيا.

وهذه هي مطبّة المسؤولين في الدّولة وفي جميع قطاعاتها، الّتي حوّلها المنتجون إلى أعمال كوميدية ساخرة، ونقرأ في حلقات أخرى مواضيع اِجتماعية حساسة كآفة المخدّرات وانتشارها السّريع بين شباب المملكة، والانقلاب على السّلطان الأحداث الّتي عاشها الشّعب الجزائريّ في السّنوات الأخيرة. هذا ما حبّب المخرج/ الكاتب "**جعفر قاسم**" إلى قلوب الجزائريين وباتوا يترقبون أعماله التّلفزيونية الكوميدية من موسم لآخر لينفّسوا على كربتهم.

وقد لعِبت اللّغة العامّية (لغة الشّارع الجزائري) الدّور الكبير في تقريب هذا النّوع من الأعمال إلى المواطن الجزائري، فاِختيار اللّغة العامّية لكتابة النّص الأدبي السّاخر من المُخرج فيه نوع من الذّكاء والدّهاء في الوقت نفسه حتّى يجذب إليه أكبر نسبة من المتابعين هذا من جهة، وليسهّل على المتلقي وصول الرّسالة إليه بوضوح ويستوعبها حتّى يطالب بحقوقه في إطار المواطن المثقّف الواعي بما يدور حوله من أحداث من جهة أخرى.

إنّ نماذج جعفر قاسم وغيره من الكتّاب السّاخرين سواءً في المجال التلفزيوني أو المجال الأدبي ليست خيالية، فهو كاتب/مخرج واقعي اِلتجأ إلى المجتمع مُتّخِذا منه نماذج من مُختلف طبقاته -كما رأينا- فجاءت نماذجه خليطا بين فئات المجتمع الجزائريّ بداية من المسؤول الأوّل وصولا إلى آخر فرد في المجتمع.

ولعلّ من أبرز وأكثر التساؤلات الموجهة للمخرج "**جعفر قاسم**"؛ تمثلت في الإفصاح عن سبب التهافت الكبير من قبل الجمهور لمشاهدة أعماله الكوميدية، وقد كانت إجابته حول هذا الموضوع أنّه: ليس عرّافا لتعلّق الشّعب الجزائري به وبأعماله؛ وإنّما هو اِبن المجتمع كاتب ومجسد لما يعيشه فيه، تقول الصّحفية من جريدة الشّروق الإلكترونية:« **وأرجع المخرج سبب اِرتباط المشاهد الجزائريّ بالسّلسلة كونها نابعة من واقعه، وتتحدّث عن مشاكله مُؤكّدا أنّه ليس "فرّان" أو عرّافا لكنّه فنّان يعيش في واقعه، وكتب ما يلمسه يوميا في الشّارع والمقهى ومواقع التّواصل الاجتماعي**»[17] ولعلّ هذا أكبر دليل على أنّ الكاتب الفعلي؛ هو من يشعر بحاجة أبناء وطنه، ويعبّر عنهم وينقل اِحتياجاتهم إلى الرّأي العام والمسئولين.

مما سبق نستنبط أن: السّخرية المُبطّنة سلاح بتّاء في يد من يعرف استخدامها، إذ لا يمكننا حصرها في مجال معيّن؛ وإنّما تدخل في جميع مناحي الحياة، فهي تلازم الفرد في كلّ وقت ونتيجة لأيّ ظرف من الظّروف " **فليس كلّ إنسان مهما بلغ من الذّكاء، أو من السّخط يستطيع أن يصوغ سخرية، بل وليس كلّ أديب أو شاعر مهما بلغ من المقدرة الأدبيّة أو الشّعرية يستطيع أن يكون ساخِرًا، وإنّما هو اِستعداد فِطري، قد تنمّيه الملابسات الاجتماعية أو الثّقافية أو غيرهما ...**"[18] لذلك كان لزاما على الكاتب صقل هذه الفطرة وتنميتها، فقد أعاد هؤلاء الكتّاب والمخرجون الجزائريون للأدب الجزائري السّاخر بصفة عامّة، و الكوميديا السّاخرة بصفة خاصّة؛ انتعاشًا وكانوا مَنْبَرَ حَقْ ولسان صدقْ تناولوا القضية الإنسانيّة العادلة ،ودافعوا عنها دفاعًا قويًا لتؤثر في المتلقي الجزائري تأثيرا كبيرا.

خاتمة:

وخلاصة القول حول ملامح السخرية من خلال الإنجاز التلفزيوني الجزائري "**لجعفر قاسم**" تتمثل فيما يلي:

- الكاتب السّاخر اِبن المجتمع ، يعايش واقعه، يلتقط اللحظة، ويصورها تصويرا فنيا بمحاولة إدخالها الوسط الكوميدي الساخر، كمعادل موضوعي اصطبغ بصبغة الكاتب التهكمية، التي يريدها أن تكون ضمن الإطار التداولي للجمهور؛ الذي يستقرئ نظرة الكاتب إلى ما حوله من أمور مناقضة للواقع، وآلياته الدّفاعية عنها، وأسلوبه النقدي البناء المعلن داخل قالب الترفيه والمتعة.

- أنّ السّخرية داخل أعمال "**جعفر قاسم**" عنصرا فعالا في تفعيل قضايا المجتمع للرّأي العام، وإثارة الجدل حولها في صورة مقنعة تلمح بين ثناياها رؤية الكاتب، وموقفه اتجاه تلك القضايا.

- صنع "**جعفر قاسم**" بوصفه كاتب كوميدي تلفزيوني المفارقة في أعماله، بوصوله إلى قلب المجتمع وكشف المسكت عنه.
- من آليات الكشف عما يؤرق في هذه الحياة من قبل الكاتب؛ كانت آلية السخرية التي تعد مبدأ العمل والمنطلق لإمتاع الجمهور ومشاركته آلامه ونقائصه المجتمعية.
- اتخذ المخرج "**جعفر قاسم**" من كل شرائح المجتمع حكاية في صورة مرئية مشفرة بشفرة تهكمية ساخرة؛ تمثلت وبقوة في الصرح التلفزيوني من خلال أعماله المشهورة، سلسلة ناس ملاح سيتي، دار البهجة،جمعي فاميلي، وعاشور العاشر.
- استدرجت المعالجة لقضايا سلسلة عاشور العاشر من خلال استظهار دائرتي المركز والهامش في صورة فعالة تفاعلية مع الجمهور المشاهد، وتبيان الفارق الممارساتي في المجتمع داخل حدود دائرتي المركز والهامش؛ ممثلا ذلك في صورة افتراضية ساخرة هزلية تهكمية سلطتها مملكة عاشور التي تمثل المركز، والشعب الذي يمثل الهامش.

الإحالات:

(1) أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، مج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424ه/2003م، ص 408.

(2) المصدر نفسه، ص409.

(3) سورة البقرة، آ: 212.

(4) سورة الحجرات، آ: 10.

(5) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، د.ط، المغرب، يناير 2005م، ص94.

(6) محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول،ص94.

) محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، السّخرية في الأدب الجزائري الحديث(1925-1962) ، جمعية التّراث غرداية- الجزائر، ط .1، 7 1425ه/2004م، ص 32.

(8) أبو عيسى فتحي محمّد عوض، الفكاهة في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، د.ط، د.ب، 1969، ص35.

(9) عبد الله بن عبد الرّحمن الوهبي، حرفة الجاهليين...الدلالات الاجتماعية للسّخرية، مجلّة البيان، ع 324، شعبان 1423ه، يونيو 2014، تاريخ الدّخول إلى الموقع: الأحد 19جمادى الأولى 1442ه.

(10) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، دار العرب الإسلامي، ط.1، بيروت، 1998، ص 423، 425.

(11) عزّة أحمد هيكل، الدّراما التّلفزيونية- رحلة نقدية- المجلس الأعلى للثّقافة، ط.1، القاهرة، 2016، ص 299.

(12) ينظر: سد فيلد، السّيناريو، تر: سامي محمّد، دار المأمون للتّرجمة والنّشر، د.ط، بغداد، 1989، ص13.

(13) أرسطو طاليس، فنّ الشّعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.تا، ص67.

(14) حامد عبده الهوّال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، د.ط، مصر، 1982، ص35.

(15) ينظر: جعفرقاسم، إخراج فيلموجرافيا، صور، فيديو، السّينما.كوم، تاريخ الدّخول إلى الموقع: 2021/01/07م، 15:05سا https://elcinema.com/person/1111526/

(16) ينظر الموقع :
https://youtube.com/watch?v=seEkoonkdF0&feature=share

(17) زهية منصر: صحافيّة مختصّة في الشّؤون الثّقافية، لست عرّافا...ولهذا التبس تعلّق الجزائريّون بعاشور العاشر، 2020/03/05م .http://www.echorukonline.com ، تاريخ الدّخول إلى الموقع: 2021/01/07م، 15:09سا.

(18)عبد الحليم حنفي، التّصوير السّاخر في القرآن الكريم، الهيئة العامّة للكتاب، د.ط، مصر، 1992، ص27.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، مج، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ/2003م.
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجوائر الثّقافي، ج5، دار العرب الإسلامي، ط.1، بيروت، 1998.
3. أبو عيسى فتحي محمد عوض، الفكاهة في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع،(د،ط)، (د.ب)، 1969.
4. أرسطو طاليس، فنّ الشّعر، تر: دكتور إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلوا المصرية،مصر، (د.ط)، (د.تا).
5. جعفر قاسم، صور، فيديو- السّينما كوم https://elcinema.com/person/1111526/، إخراج فيلموغرافيا صور،تاريخ الدّخول إلى الموقع: 2021/01/07م 15:05سا.
6. حامد عبده الهوّال، السّخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،مصر (د.ط)، 1982.
7. زهية منصر: صحافية مختصّة في الشّؤون الثقافية، "لست عرّافا...ولهذا السبب تعلّق الجزائريون بعاشور العاشر"، 2020/03/05م، http://www.echorukonline.com، تاريخ الدّخول إلى الموقع: 2021/01/07م، 15:09سا.
8. سد فيلد، السّيناريو، تر: سامي محمد، دار المأمون للتّرجمة والنّشر،بغداد،(د،ط)، 1989.
9. عبد الحليم حنفي، التّصوير السّاخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،مصر (د.ط) 1992.
10. عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، حرفة الجاهليين...الدلالات الاجتماعية للسّخرية، مجلة البيان، ع324، شعبان 1423هـ، يونيو 2014، تاريخ الدّخول إلى الموقع: الأحد 19جمادى الأولى 1442هـ.
11. عزّة أحمد هيكل، الدّراما التّلفزيونية-رحلة نقدية- المجلس الأعلى للثّقافة،القاهرة،ط1، 2016.
12. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق،المغرب، يناير 2005م.
13. محمد بن قاسم ناصر بوحجّام، السّخرية في الأدب الجزائري الحديث(1925-1962) ط.1، جمعية التّراث غرداية- الجزائر،ط1، 1425هـ/2004م.
14. الموقع الإلكتروني : حلقة 2، السّلطان عاشور ، إمتحان الباكالوريا -ج1- https://youtube.com/watch?v=seEkoonkdF0&feature=share